



عنوان المقال: التفاعل الاجتماعي- دراسة نظرية تشخيصية

الأستاذة: صبرينة بن جامع

الجامعة: جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري .

ملخص:

يعالج هذا المقال التفاعل الاجتماعي، الذي يعد من أهم المواضيع التي تتناوله كافة فروع علم الاجتماع، كونه يمثل أفعال واستجابات ناتجة عن تغيرات للأعضاء الداخلية لما كانت عليه في البداية، وتبعاً لذلك فإن مصطلح التفاعل الاجتماعي يستمد أهميته كما سلف الذكر من عناصره، وخصائصه وأشكاله، والذي ينتج عنه أشكالاً مختلفة وأبعاد وأسس ترتكز عليها المقاربات النظرية التي تفسر وتحلل ظواهر التفاعل الاجتماعي كل حسب نظريته السوسيولوجية الكلمات المفتاحية: التفاعل، التواصل الاجتماعي، العلاقات الاجتماعية

Résumé

Cet article traite l'interaction sociale qui est l'un des sujets les plus importants qui traite toutes les branches de la sociologie, puisque c'est une sorte d'effet et de réponses qui entraînent un changement dans les organes internes qu'ils ne l'étaient au début. Suite à cela on a abordé le concept de l'interaction sociale son importance et ses exigences comme nous avons discuté ses composants et les caractéristique qui le distingue et qui à leurs tour conduisent à des formes différentes avec des dimensions et des fondements sur lesquels il se base avec les facteurs qui l'influence sans négliger les approches théoriques qui ont expliqué et analysé le phénomène de l'interaction sociale chacune selon sa vision sociale

Mots clés: Interaction, communication sociale, relations sociales

مقدمة:

التفاعل الاجتماعي واحد من أهم المواضيع التي تهتم بدراستها فروع علم الاجتماع كافة، فالعالم "دوبي" 1966 يرى بأن "الجماعة ليس بحد ذاتها إلا وحدة شخصيات متفاعلة"، حيث اعتبر التعاون والتنافس والصراع والتوافق أشكالا واضحة لعملية التفاعل الاجتماعي، ويلعب الاتصال برموزه المختلفة دور الوسيط في إحداث التأثير المتبادل في سلوك الأفراد، كمضمون من مضامين التفاعل الاجتماعي، ومن المؤكد أن الثقافة التي يعيشها الفرد والجماعة تطبع أنماط التفاعل الاجتماعي الثقافي بلونها وتنعكس فيه، فيعد بذلك من أكثر المفاهيم انتشارا في علم النفس الاجتماعي، والأساس في جميع دراساته أن يتناول دراسة كيفية تفاعل الفرد في البيئة وما ينتج عن هذا التفاعل من قيم وعادات واتجاهات، كما أنه الأساس في قيام العديد من نظريات الشخصية ونظريات التعلم والعلاج النفسي.

1- مفهوم التفاعل الاجتماعي:

للتفاعل الاجتماعي تعريفات كثيرة شأنه شأن باقي المصطلحات في علم الاجتماع إذ تختلف باختلاف العلماء ومشاربهم الفكرية، وسنتناول بعض التعاريف المحددة من قبل العلماء الذين اهتموا بدراستهم لموضوع التفاعل الاجتماعي كل حسب وجهة نظره:

أ- تعريف سواسنون: يعرفه سواسنون بأنه "العملية التي يرتبط بها أعضاء المجتمع بعضهم ببعض عقليا ودفاعيا في الرغبات والحاجات والوسائل والغايات والمعارف والمصالح"¹ بمعنى آخر فإن سواسنون يرى أن التفاعل الاجتماعي هو ذلك الإطار الاجتماعي الذي تتداخل فيه مصالح الأفراد بعضهم ببعض فيحدث التوافق والانسجام والعمل الجماعي من أجل إشباع الحاجات والوصول إلى الغايات المرجوة باستعمال الوسائل المشتركة عن طريق التعاون والتكافل والتساند.

ب- تعريف سعد جلال: يعرفه سعد جلال بأنه "علاقة متبادلة بين فردين أو أكثر، يتوقف سلوك أحدهما على سلوك الآخر كفردين، أو يتوقف سلوك كل منهم على سلوك الآخرين إذا كانوا أكثر من اثنين".² والتفاعل الاجتماعي بذلك يعد عملية اتصال تؤدي إلى التأثير في أفعال الغير ووجهات نظرهم، وهو قائم في عالم الإنسان والحيوان، بمعنى آخر هو التقاء سلوك شخص مع آخر، أو مجموعة أشخاص في عملية متبادلة تجعل كل منهم معتمد في سلوكه على الآخر ومنها لذلك السلوك في الوقت نفسه.

بتمعننا في التعاريف السابقة نستخلص أن التفاعل الاجتماعي عبارة عن وجود علاقة أو علاقات بين الكائن البشري والآخرين، يفضل تسميتها بالعلاقات البشرية بغض النظر عن كونها علاقات ايجابية أو سلبية وهي بالتالي تختلف عن مفهوم العلاقات الإنسانية التي أصبح متعارف عليها بالعلاقات ايجابية.

"يتخذ التفاعل الاجتماعي صوراً وأساليباً متعددة فقد يحدث هذا التفاعل بطريق مباشر أو غير مباشر بين عدد محدود من الأفراد أو عدد كبير"³، يكون عن طريق استخدام الإشارة، اللغة والإيماء بين الأفراد، ويأخذ التفاعل الاجتماعي أنماطاً مختلفة تتمثل في التعاون والتكيف والمنافسة والصراع، "وحيثما تستقر أنماط التفاعل وتأخذ أشكالاً منتظمة فإنها تتحول إلى علاقات اجتماعية كعلاقات الأخوة والأبوة والزمانة..... إلخ"⁴.

لقد جرت العادة بين الباحثين والعلماء التفرقة بين العلاقات المؤقتة والعلاقات الدائمة من حيث درجة الثبات والانتظام والاستقرار، فيطلقون على الأولى منها مصطلح العمليات الاجتماعية، بينما يطلقون على الثانية اصطلاح العلاقات الاجتماعية، وهذا يعني أن العملية الاجتماعية ما هي في الواقع إلا علاقة اجتماعية في مرحلة التكوين، فإذا استمرت واستقرت

وتبلورت وأخذت شكلا محددا تحولت إلى علاقة اجتماعية وبذلك يكون الفرق بين العملية والعلاقة الاجتماعية مجرد فرق في الدرجة وليس في النوع.

وأشارت الدراسات التحليلية للحياة الاجتماعية إلى أنها تبدأ بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر ويطلق على التأثير المتبادل بين الشخصين وبين الفعل ورد الفعل اصطلاح التفاعل، لذا لا بد من التفريق بين الفعل الاجتماعي وبين غيره من الأفعال غير الاجتماعية، فالفعل الاجتماعي وفقا لتعارف ماكس فيبر هو "السلوك الإنساني الذي يحمل معنى خاص يقصد إليه الفاعل بعد أن يفكر في رد الفعل المتوقع من الأشخاص الذين يوجه إليهم السلوك".⁵

هذا المعنى الذي يفكر فيه الفرد ويقصده هو الذي يجعل الفعل الذي يقوم به اجتماعيا، فالاصطدام الذي يحدث بدون قصد بين راكبي دراجتين هو ذاته فعل طبيعي وليس فعلا اجتماعيا أما محاولة كل منهما تفادي الاصطدام بالآخر واللغة التي يستخدمانها بعد الحادثة عبارة عن فعل اجتماعي حقيقي. "والتفاعل الاجتماعي يقوم على أساس مجموعة من المعايير التي تحكم هذا التفاعل من خلال وجود نظام معين من التوقعات الاجتماعية في إطار الأدوار والمراكز المقدرة داخل المجتمع"⁶، ويؤدي إلى تشكيل الجماعات الإنسانية وبالتالي ظهور المجتمعات البشرية.

ج- التعريف الإجرائي :

بناء على ما تقدم فإن التفاعل الاجتماعي عبارة عن مجموعة من المنبهات الاجتماعية المتفاعلة تقدمها البنية الاجتماعية لأبنائها، تؤدي هذه المنبهات إلى استثارة استجابات اجتماعية لدى المشاركين في هذا الموقف، أي أنه عبارة عن عملية يقوم بها الفرد تظهر بشكل فعل أو رد فعل تجاه حدث ما من حوله، ويكون مقدار الفعل أو رد الفعل هذا حسب مستوى تأثره بالحدث، فعندما

يتلقى الفرد خبرا ما يكون هذا الخبر محزنا يحزن الفرد و يتأثر سلبا، اما عندما يتلقى خبرا مفرحا يفرح ويتأثر إيجابا، فالمسألة هنا لا تقتصر على هذا المستوى أي مستوى التلقي فقط فالنظرة والإثارة والابتسامة والعبوس والعلاقة المباشرة مع مختلف الأمور من حوله وغيرها من الرسائل الموجبة تحقق قدرا متفاوتا من التفاعل الاجتماعي، "وتختلف هنا مستويات التفاعل باختلاف خلفيات كل فرد ومستوى معرفته بالأحداث والمجريات الدائرة".⁷

2- أهمية التفاعل الاجتماعي :

لأن التفاعل الاجتماعي من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع وعلم النفس على حد سواء فانه حظي بالدراسة والتحليل والاهتمام من قبل العلماء والباحثين لما له من أهمية على المستوى الفردي والجماعي ويمكن تحديد هذه الأهمية في النقاط التالية:

- يسهم التفاعل الاجتماعي في تكوين سلوك الإنسان، فمن خلاله يكتسب الفرد (الكائن البشري) خصائصه الإنسانية ويتعلم لغة قومه وثقافة جماعته وقيمها وعاداتها وتقاليدها من خلال عملية التطبيع الاجتماعي.(socialization)

- التفاعل ضروري لنمو الطفل، "إذ بينت الدراسات أن الطفل الذي لا تتوفر له فرص كافية للتفاعل الاجتماعي يتأخر نموه"⁸.

- يهيئ التفاعل الاجتماعي للأشخاص الفرص للتمايز إذ يمنح لهم الفرصة لتمييز شخصيتهم عن الآخر، فيظهر منهم المخططين، المبدعين، وكذا العدوانيين والهادئين إلخ كما يكسب المرء القدرة على التغيير، المنافسة والمبادرة.

- يعد التفاعل الاجتماعي شرطاً أساسياً لتكوين الجماعة، إذ ترى نظرية التفاعل أنه ينسق بين الأشخاص بتفاعل بعضهم مع بعض، مما جعلهم يرتبطون مع بعضهم في علاقات معينة ويكون كل منهم على وعي بعضويته في الجماعة، ومعرفة أعضائها، كما يكونون تصور مشتركاً لمجموعتهم.

- "يؤدي التفاعل الاجتماعي إلى تمايز شرائح الجماعة فتظهر القيادات وغيرها من المراكز والأدوار"⁹.

- يساعد التفاعل الاجتماعي في تحديد الأدوار الاجتماعية والمسؤوليات التي يجب أن يطالع بها كل إنسان، ففي جماعات المنافسة مثلاً يؤدي التفاعل إلى إبراز أدوار المشاركين وتعميمها.

- ينشأ عن التفاعل الاجتماعي ثلاثة أنماط من العلاقات الاجتماعية "إيجابية متبادلة (علاقة تجاذب)، سلبية متبادلة (علاقة تنافر)، علاقة مختلطة تجمع بين السلب والإيجاب، أحدهما إيجابي يقبل على الآخر والطرف الثاني سلبي ينفر من الأول"¹⁰.

بناءً عليه فإن التفاعل الاجتماعي ضروري وأساسي لإشباع الحاجات الاجتماعية لأن تبادل الحاجات يتطلب التفاعل فهو ضروري لاستمرار الجماعة وبقائها، كما له نتائج إيجابية على شخصية الفرد في مختلف مراحل حياته شرط أن يتم وفق قوانين وقيم متفق عليها (وفق أساليب الضبط الاجتماعي)، مما يولد التعاون البناء وتعميق الصلات بين أفراد المجتمع ومن ثم تماسكه.

3- مقتضيات التفاعل الاجتماعي:

"حتى يتم الوصول إلى مسألة التفاهم الذي يرمي إلى تبني موقف أو سلوك مرغوب فيه يجب أن تتوفر في كل عملية تفاعل اجتماعي إثارة رد فعل تجاه الطرف المقابل"¹¹، ولا يكون التفاعل ناجحاً إلا إذا توصلنا لمستقبل إلى فهم محتوى الرسالة واستيعابها ولضمان

النجاعة يجب توفر بعض المبادئ الأساسية واحترام بعضالقواعد للتحكم في عملية التفاعل المباشرالتي يمكن صياغتها كما يلي:

- القابلية إلى تفهم الآخرين:

"يرمي التفاعل الاجتماعي إلى تنمية الثقة والمهارات اللازمة لتبني سلوك سليم تجاه المسائل المتعلقة بهدف التفاعل، وكذلك ما يشعر به بالفعل وليس ما تعتقد أنه الشعور الواجب لديه"¹²، ولا يمكن تحقيق هذه الغاية إلا بادراك مجموعة من العوامل التي تحيط بالمتلقيمنها الأفكار والمشاعر والمعتقدات المشتركة، والتأثير المتبادل بين الأشخاص وتأثير المحيط الاجتماعي والثقافي والمادي على المتلقي وتأثيره على سلوكه، فالاطلاع على هذه العوامل وأثرها في السلوك أمر ضروري لحسن استخدام التفاعل وانتقاء الطرق الأكثر ملائمة.

إذن فلكي "نقيم علاقة تفاعل يجب علينا إقامة علاقة مبنية على الثقة المتبادلة والإصغاء إليه من أجل فهم المتلقي من وجهة نظره ما يمكن من اختيار الرسالة والأسلوب المناسب"¹³.

- القدرة على التخاطب بوضوح:

إن هدف التفاعل الجيد هو التأكد من أن الطرف المقابل يسمع ويفهم الرسالة التي يشارك فيها لذلكمن الضروري تبليغ الرسالة بأسلوب واضح بسيط وملائم، ومن بين المهارات الأساسية للتفاعل هو الإنصات الجيد باعتباره طريقة للتعبير عن الاهتمام والاحترام بواسطتها يمكنك التعرف على حقيقة شعور الفرد وموقفه وتشجيعه على التعبير على اهتماماته وأفكاره أي توفير الفرصة للملائمة للتعبير دون الانتقاد والتحليل والتأويل.

- حسن طرح الأسئلة:

"للحصول على معلومات دقيقة ومعقدة وجب استخدام طريقة ملائمة لصياغة أسئلة

واضحة وسهلة، إذ تهدف هذه التقنية إلى جعل الطرف المقابل يعبر بكل حرية وتلقائية".¹⁴

- التحكم في التفاعل الغير اللفظي:

أي ضرورة مراقبة الفرد المتلقي لتصرفاته غير اللفظية أثناء قيامه بعملية التفاعل

(الحركات، الابتسامة، تقاسيم الوجه....الخ) والتحكم فيها حتى لا تؤثر سلبا على عملية التفاعل.

- تجنب التحيز وضرورة الالتزام بموقف متفتح:

"اعتماد موقف لين أي القابلية للحوار مع الطرف الآخر بدون أفكار مسبقة باعتماد

طريقة وأسلوب تعامل يشجع على التعبير بتلقائية دون إبداء أحكام مسبقة"¹⁵، أي الابتعاد عن

المحاكمة والحكم على آراء وسلوكيات الطرف المقابل إذ يجب العمل للحصول على المعلومات

والتفاصيل بدون نقد أو اتهام.

- ضبط التوتر: أي علاج التوترات التي تنشأ في الجماعة ويشمل ذلك إظهار التوتر

والانسحاب من ميدان المناقشة وتخفيف التوتر وإدخال السرور والمرح.

- التكامل:

أي صيانة الجماعة ويشمل ذلك عدم إظهار التفكك والعدوان والانتقاص من قدر

الآخرين وتأكيد الذات أو الدفاع عنها، وإظهار التماسك ورفع مكانة الآخرين وتقديم العون، مع

المساعدة والمكافأة.

كما قسم بيلزا نمطا التفاعل الاجتماعي إلى:

* التفاعل الاجتماعي المحايد (الأسئلة): تميزه الأسئلة الاستفهامية وطلب المعلومات والآراء ويضم هذا النمط حوالي 7% من السلوك.

* التفاعل الاجتماعي المحايد (الإجابات): تميزه المحاولات المتعددة بالإجابة، أي إعطاء وتقديم الإيضاحات والتفسيرات ويضم هذا النمط حوالي 56% من السلوك.

* التفاعل الاجتماعي الانفعالي السلبي: "تميزه الاستجابات السلبية والتعبيرات الدالة على عدم الموافقة والدالة على التوتر والتفكك والانسحاب ويضم هذا النمط حوالي 12% من السلوك"¹⁶.

* التفاعل الاجتماعي الانفعالي الإيجابي: تميزه الاستجابات الايجابية وتقديم المساعدة وتشجيع الأفراد الآخرين وإدخال روح المرح ليقضي على التوتر، وهؤلاء يميلون إلى الموافقة مع الأفراد الآخرين وإبداء وتوطيد التماسك ويدخل في هذا النمط حوالي 25% من السلوك، كما اهتم بيلز بفئات أربع من المتغيرات وهي "الشخصيات المتميزة لأعضاء الجماعة والخصائص المشتركة بين أعضاء الجماعة وتنظيم الجماعة والأحداث التي تنشأ عن طبيعة المشكلة التي تتغير بتفاعل أفراد الجماعة"¹⁷، ولكي يتحقق ما أشار إليه في تحليل عملية التفاعل الاجتماعي لابد من توافر شروط معينة في الجماعة وفي المشكلة هي:

✓ أن يكون الأفراد أسوياء.

✓ أن يكون الأفراد راشدون.

✓ أن يكون الأفراد على مستوى معقول ومقبول من التعليم.

✓ أن يكون هناك مشكلة محددة تتطلب تصميما وتخطيطا مع اتخاذ القرار.

✓ أن يكون هناك بعض التقارب بين المراكز المختلفة في الجماعة.

✓ أن تكون المشكلة قابلة للحل من خلال فترة المناقشة.

ويورد وفقا لذلك بعض الأسئلة التي يمكن على ضوءها تقييم التفاعل الاجتماعي:

✓ إلى أي حد يسمح مناخ الجماعة بحرية الكلام؟

✓ هل الجو غير رسمي وغير جامد؟

✓ هل يشارك كل عضو في التفاعل؟

✓ « هل يستجيب الأعضاء لاشتراك الأعضاء الآخرين في المناقشات بطريقة تشجيعهم على

الاستمرار في المناقشة"؟¹⁸

✓ هل الظروف المحيطة مشجعة على التحمس للكلام والمناقشة؟

4- مكونات التفاعل الاجتماعي:

يتطلب التفاعل الاجتماعي العديد من أشكال الاتصال غير اللغوي تماشيا مع اللغة

كأحد أهم أدوات التفاعل الاجتماعي حيث تعد من مكونات عملية التفاعل الأساسية إلى جانب ما

سنعرضه في النقاط الآتية:

* الاتصال غير اللغوي:

يعني الاتصال غير اللغوي " تبادل المعلومات والمعاني من خلال تعابير الوجه، الإيماءات،

الحركات والعديد من أنواع التعبير الأخرى والمختلفة"¹⁹ التي يمكن إيصالها عبر الوجه البشري،

والجوانب الأساسية من تعبير الوجه هي في الأساس فطرية، حيث "أظهرت الدراسات المقارنة،

لمختلف الثقافات تشابها كبيرا بين أفراد مختلف الثقافات من حيث تعابير الوجه وتفسير

الانفعالات التي تسجل على الوجه البشري"²⁰.

إن أنواع الاتصال اللغوية وغير اللغوية ودلالاتها تدرك ويعبر عنها بشكل مختلف بين النساء والرجال وعادة ما يكون الرجال أكثر حرية في القيام بأنواع التعبير والاتصال غير اللغوي في مجتمعات الغرباء.

* القواعد الاجتماعية والحديث:

تعد اللغة أساسية في الحياة الاجتماعية، والكثير من تفاعلنا يحدث عن طريق المحادثات غير الرسمية مع الآخرين، حيث أصبحت دراسة الحديث العادي تعرف بالأثنوميثودولوجي وهو مصطلح يعود لـ "هوارد قرافينكل"، والأثنوميثودولوجي تعني "دراسة الطرق التي يستخدمها الناس لإضفاء المعنى على ما يقوم به الآخرون خاصة ما يقولونه"²¹، والعديد منقواعد الحديث اليومي تبدو واضحة عندما نقوم بتفكيكها، أننا نتعلم الكثير عن طبيعة الحديث عندما ندرس صحيات الإجابة مثلا، وصحيات الإجابة هي هتافات توضيح إرادتنا المسيطرة على تفاصيل الحياة اليومية، أنتصبح بعد الاصطدام بكوب مليء بالماء مثلا فإنك ومن خلال تلك الصيحة توضح للحضور أن فقدان السيطرة الذي حدث مؤقت فقط وليس دائم.

إن تحليل المحادثات منهج يدرس كل أوجه المحادثة من أجل الحصول على المعنى بدءا بكلمات الحشو الصغيرة مثل "آه" إلى مواضيع التبادل الدقيقة مثل فترات الصمت للمقاطعة والتداخل، ويحدث ما يعرف بتخريب التفاعل عندما يقوم شخص ثانوي بكسر القواعد الصامتة للتفاعل اليومي والتي تعتبر ذات قيمة لشخص في موضع قوة.

لقد قام باحثون بإجراء تحليل للمحادثات بين رجال سود معظمهم من المشردين ومدمني الكحول والمخدرات، ونساء من البيض يمررن بجانبهم في شوارع مدينة نيويورك، "فوجدوا أن النساء البيض لم يستحيين للرجال السود بعبارات مجاملة وبدلا من ذلك أسرعن الخطى وهن

يحدثن بثبات نحو الأمام، وعليه فإن التفاعل يفشل ويرتبط تخريبه بشكل كبير بالبنية التطبيقية والنوعية السلافية²².

* الوجه، الجسد والحديث في التفاعل:

يعتمد التفاعل اليومي على علاقات دقيقة بين ما نقوم به لايصاله عن طريق الوجه والجسد وما نعبر عنه في كلمات، ففي العديد من التفاعلات اليومية ندخل في تفاعل غير مثير للاهتمام مع الآخرين وهذا الأخير يحدث عندما يظهر الأفراد الإدراك المتبادل بوجود الآخر أما التفاعل المثير للاهتمام فيحدث عندما يستجيب الأفراد مباشرة لما يقوله أو يفعله الآخرون، ويمكن دراسة التفاعل الاجتماعي عن طريق تطبيق النموذج الدراسي مثلا دراسة التفاعل الاجتماعي وكأن المشاركين فيه ممثلون في مسرح، لهم حزمة من كل ما يستعان به في الإخراج المسرحي²³.

5- خصائص التفاعل الاجتماعي:

من خلال استعراضنا للتعريف السابقة الخاصة بالتفاعل الاجتماعي مع توضيح أهميته

ومقتضياته يمكننا استخلاص أهم خصائصه وهي على التوالي:

✓ التأثير المتبادل بين أطراف التفاعل، أي بين شخصين يؤثر أحدهما في الآخر كما هو

الحال في التفاعل الحاصل بين الزوج والزوجة أو بين فرد وجماعة أو بين جماعة وأخرى

فيكون إما تكويناً ثنائياً أو تكويناً فردياً/جماعياً وأما تكويناً جماعياً/جماعياً.

✓ "التفاعل الاجتماعي القائم على التواصل من حيث هو تفاعل أو رغبة في المشاركة

تحدث بين طرفين أو أطراف²⁴ تنشط باتجاه تحقيق أهداف معينة.

- ✓ كون التفاعل الاجتماعي قائما على التواصل وكون التواصل أساس العلاقات الإنسانية لأنه سبيل تكوين العلاقات بين أعضاء المجتمع، وتبادل المعلومات والأفكار، والتجارب فيما بينهم والتفاهم البشري، تجعل عملية التفاعل الاجتماعي ذات دور بارز في التربية والتنظيم والإدارة تختلف أشكالها خاصة التربوية منها.
- ✓ "لما كان الفرد يتواصل مع نفسه كما تواصل مع غيره فإن التفاعل الاجتماعي يمكنه أن يكون داخليا كما يمكنه أن يكون خارجيا"²⁵.
- ✓ إذا كانت اللغة أهم أدوات الاتصال بين البشر، فإنها في ذات الوقت من أهم أدوات التفاعل الاجتماعي.
- ✓ التفاعل الاجتماعي سبيل للتمايز بين الأفراد.
- ✓ يتميز التفاعل الاجتماعي بالفاعلية ففيه كل يؤثر في الآخر، "إذ في التفاعل الاجتماعي دوما توضع الاستجابة للمثير الذي يستخدمه أي طرف من أطراف عملية التفاعل الاجتماعي، تقبلا أو رفضا، الأفراد بعضهم من بعض، ففيه تظهر القيادات والزعامات والأدوار والمراكز، كما تعرف المهارات الخاصة بكل طرف من أطراف التفاعل"²⁶.
- ✓ في عملية التفاعل الاجتماعي يتحدد السلوك الفردي والنمط الشخصي لكل فرد، ويكون نوعا ما من الالتزام يساعد على التنبؤ بسلوك المتفاعلين اجتماعيا.
- ✓ التفاعل الاجتماعي سبيل من سبل الدفاع عن الجماعة ومنع انهيارها، فلا بد من استمراره لبقاء الجماعة.

إذن عملية التفاعل الاجتماعي لابد من توافرها لكي يتم التفاهم بين أفراد المجموعة "فمن غير المعقول أن يتبادل أفراد المجموعة الأفكار من غير ما يحدث تفاعل اجتماعي بين أفرادها من خلال الفعل ورد الفعل"²⁷، إذ عندما يقوم الفرد بفعل معين فانه حتما يتوقع رد فعل من الطرف الآخر سواء كان ذلك سلبا أو إيجابا مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد المتفاعلين. ويجدر بنا اعتباره عملية لأنه يتضمن نوعا من النشاط الذي تستثيره حاجات معينة عند الإنسان ومنها الحاجة إلى الانتماء والحاجة إلى الحب والتقدير والنجاح كما يمكن اعتباره حالة لأنه يستخدم في الإشارة إلى النتيجة النهائية التي يترتب عليها تحقيق هذه الحاجات عند الإنسان، وهو أيضا "مجموعة من الخصائص التي هي نوع من الاستعدادات الثابتة نسبيا تميز استجابات الفرد في سلوكه الاجتماعي التي تدعى بالسمات التفاعلية والسمات الأولية للاستجابات الفردية والشخصية المتبادلة"²⁸، إذ يتضمن التعبير اللفظي والحركات والإيماءات في شكل سلوك ظاهر كما يتضمن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل وجميع العمليات النفسية الأخرى.

6- أشكال التفاعل الاجتماعي: يتخذ التفاعل الاجتماعي عدة أشكال أهمها:

أ/ التعاون: يعد التعاون تفاعلا للمصالح المشتركة.

ب/ التنافس والصراع: إن الشرط الأساسي والمهم في التنافس هو وجود جماعة غير محدودة المطالب، في عالم محدود الموارد، إذ ترى غيرها أنه الأجدر أو الأحق بها. "وقد يتداخل التعاون ويمتزج بالتنافس على نحوها تعبر عنه اللغة الدبلوماسية أو ما يصطلح عليه التنافس الاستعماري بين الدول"²⁹، فيبطل التنافس في مستوى غير شخصي طالما ينصرف الأفراد إليه وإلى الاهتمام بتحقيق الأهداف والوصول إلى الغايات التي تسعى إليها الجماعة.

وتظهر الخصومة حين يتحول الاهتمام من الأهداف إلى الأفراد، والتنافس بدوره أنواع كما يتولد عنه نتائج ومن أنواعه: "التنافس السلمي الذي يتجسد في السعي لبلوغ مرتبة فنية أو علمية أو رياضية أعلى وريادية"³⁰، والتنافس العدواني كالتنافس العسكري الاستعماري، أما أبرز نتائجه فتتمثل في الربح والخسارة والتعادل وذلك حسب القواعد التي يسير عليها وقد ينتج عن التنافس السيطرة مثلما هو حاصل حاليا في تنافس روسيا والولايات المتحدة الأمريكية على الدول البترولية.

ت/ السلطة: "تعد ممارسة السلطة شكلا من أشكال القوة التي توجه الأفراد العاملين في المؤسسات البيروقراطية نحو تحقيق الأهداف العامة والخاصة للمجتمع"³¹، كما تساعد الأجهزة الرئيسية على نشر النظام وتوجيه الجهود عن طريق تبادل المصالح المشتركة مما ينتج تماسكا اجتماعيا بوجود العواطف والمعتقدات المشتركة والشعور بالقوة التي تكمن في التأثير والسيطرة الجبرية، حيث يتم التبادل حين يقوم عضو الجماعة بتقديم وظائف وواجبات يستفيد منها بقية الأعضاء، كما تظهر المصالح المشتركة عندما يقوم الفرد بانجاز العمل المطلوب منه لمصلحة شخص ثالث، أما التماسك فيظهر عندما يشعر كل فرد بان عمله مفيد للآخرين ومكملا للأعمال التي يقوم بها الآخرون، "وتظهر القوة عندما يتأثر سلوك الآخرين، وتتأثر أعمالهم بأوامر شخص يحتل منصبا عاليا في الجماعة، فالسلطة قوة تنظم جهود وواجبات الآخرين من خلال الأوامر التي تصدرها لهم، وتكون فعالة لاعتقادهم بشرعيتها"³² وهذا يختلف عن السيطرة القسرية والجبرية.

- وعليه فكل هذه الأشكال تتضمن التأثير المتبادل لسلوك الجماعات التي تتم عادة عن

طريق الاتصال والتواصل سواء كان لفظي أو غير لفظي.

7- أبعاد التفاعل الاجتماعي:

لقد استبين أن التفاعل الاجتماعي يتضمن ثلاثة أبعاد أساسية تعبر جميعها عن مجمل الأدوار والعلاقات الاجتماعية وهي:

- الإقبال الاجتماعي: ويعني إقبال الفرد على الآخرين وتنمية وتدعيم نموه العقلي وخوضه التعاون في الجماعة والاتصال بأفرادها والتواجد وسطهم.

- الاهتمام والانشغال الاجتماعي: ويعني "الانشغال بالآخرين والارتياح لوجودهم والعمل جاهدا على جذب انتباههم واهتمامهم ومشاركتهم انفعاليا"³³.

- التواصل الاجتماعي: ويعني القدرة على إقامة علاقات جديدة وصداقات مع الآخرين والحفاظ على الاتصال الدائم بهم، ومراعاة قواعد الذوق الاجتماعي العام في التعامل معهم واستخدام الإشارات المختلفة في سبيل تحقيق الاتصال بهم والتواصل معهم، إذ يمكننا ربط مفهوم الدور الاجتماعي مثلا بدور الممثل في المسرح، فالأدوار هي التوقعات المحددة اجتماعيا للفرد في مكانة معينة أو موقع اجتماعي معين، "وعندما نقوم بلعب أدوارنا نكون حساسين تجاه نظرة الآخرين نحونا، لذلك تنشأ الحاجة إلى إدارة الانطباع"³⁴، وعادة ما تشمل إدارة الانطباع انطباع الآخرين عنا، على الاتباع غير الواعي للقواعد مثل ارتداء الملابس المناسبة لاجتماع عمل.

هذه الأدوار الاجتماعية التي تمثلها تعتمد بشدة على المكانة وتتحول مكانتها بناء على الإطار الاجتماعي، ويشير علماء الاجتماع إلى مجموعة مكانات الفرد بمصطلح حزمة المكانة، كما يميزون بين المكانة الموروثة بناء على عوامل بيولوجية مثل السلالة، النوع، العمر والمكانة المكتسبة بجهد الفرد، مثلما هو الحال في المسرح، "إذ أنه في مختلف أطر الحياة الاجتماعية، يوجد تمييز واضح بين مناطق الصدارة (المسرح نفسه) والمناطق الخلفية، حيث يعد الممثلون أنفسهم لأداء

الأدوار ويسترخون بعد ذلك³⁵، وهناك اختلافات ثقافية في تعريف المساحة الشخصية التي تعني الحدود المحددة ثقافيا والتي يتفاعل حولها الناس مع بعضهم البعض إذ يعد احترام المساحة الشخصية أو غزوها من الأشكال المهمة في التفاعل غير اللفظي.

- التفاعل في الزمن والمساحة:

"يقع التفاعل الاجتماعي بكل أنماطه ومستوياته في زمن ومساحة، ويمكننا تحليل كيف أن حياتنا اليومية تتوزع إلى مناطق ومقاطع في الزمن والمساحة عن طريق النظر إلى كيفية النشاطات التي تحدث خلال فترات محددة وتشتمل في الوقت نفسه على حركة مكانية،"³⁶ إن دراسة حركة الناس في الزمن والمساحة يمكن أن تلقي الكثير من الضوء على المعاني المطورة في التفاعل الاجتماعي، كما يمكننا الاعتماد على الأقلمة كأحدى الطرق التي ينظر إليها علماء الاجتماع لتوزيع التفاعل الاجتماعي إلى مناطق في الزمان والمساحة، فالمنازل مثلا مقسمة إلى غرف مختلفة يحدث في كل منها نوع نشاط مختلف.

8- أسس التفاعل الاجتماعي:

يقوم التفاعل الاجتماعي كغيره من العمليات الاجتماعية على أسس أو محددات يمكن

تلخيصها في العناصر التالية:

الاتصال: لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون هناك تفاعل بين فردين دون أن يتم اتصال

بينهما و يساعد الاتصال بسبله المتعددة على وحدة الفكر والتوصل إلى السلوك التعاوني،"

فالالاتصال تعبير عن العلاقات بين الأفراد، أي نقل فكرة معينة أو معنى محدد في ذهن شخص ما

إلى ذهن شخص آخر أو مجموعة من الأشخاص³⁷، فعن طريق عملية الاتصال يحدث التفاعل

بين الأفراد، وعملية الاتصال لا يمكن أن تتحقق بذاتها، لكنها تحدث من حيث هي أساس عملية

التفاعل الاجتماعي حيث يستحيل فهم ودراسة عملية التفاعل في أية جماعة دون التعرف على عملية الاتصال بين أفرادها.

التوقع: هو "اتجاه واستعداد الاستجابة لمنبه معين"³⁸، يؤدي التوقع دورا أساسيا في عملية التفاعل الاجتماعي حيث يصاغ سلوك الإنسان وفق ما يتوقعه من رد فعل الآخرين، "فعندما يقوم الفرد بأداء معين يضع في اعتباره عدة توقعات لاستجابات الآخرين كالرفض أو القبول والثواب والعقاب ثم يقيم تصرفاته ويكيف سلوكه طبقا لهذه التوقعات"³⁹، وإذا كان التوقع هو المحدد للسلوك فالسلوك الفردي في الجماعة يقيمه ذاتيا من خلال ما يتوقعه عن طريق استقبال الزملاء له، سواء كان هذا السلوك حركيا أو اجتماعيا، ويبنى التوقع على الخبرات السابقة، أو على القياس بالنسبة إلى أحداث مشابهة فيعد وضوح التوقعات أمرا لازما وضروريا لتنظيم السلوك الاجتماعي أثناء عمليات التفاعل الاجتماعي.

9- العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي: يتأثر التفاعل الاجتماعي كغيره من العمليات

الاجتماعية بالعوامل التالية:

- درجة التشابه بين ثقافة الأشخاص المشاركين فيه "فكلما ازداد التشابه الثقافي بين طرفين ازداد التفاعل بينهما"⁴⁰، فتفاعل الفرد العربي مع شبيهه العربي مثلا يكون أكبر من تفاعل أبناء الوطن الواحد مع غيرهم، كما أن تفاعل الفرد مع زميله من نفس الوظيفة أو المهنة يكون تفاعلا أكبر من غيره.

- صفات المتفاعلين أنفسهم وخصائصهم، فكلما اتصف طرف التفاعل بالإخلاص والصراحة وساد التعاون والتسامح وسعة الأفق كان أكثر تقبلا من الآخر مما يزيد قوة التفاعل بينهما، وكلما اتصف بالصفات المغايرة كلما زاد رفض الطرف الآخر له، وكلما اتصف بالانصراف

عن التفكير الجماعي ولجأ إلى حب العزلة وعدم المشاركة في الاهتمامات والأخذ بالأراء المغايرة أصبح معزولاً عن أطراف التفاعل.

- مخالفة التوقع: بمعنى أن المدرس يشرح لتلاميذه ويتوقع منهم الانتباه لما يقوله، ومناقشته فيما لا يفهمونه فعند مقابلتك زميل لك مثلاً تتوقع منه أن يرفع يده ويميز رأسه ليحييك، فتستعد للاستجابة له، لكن إذا حدث العكس وما يخالف توقعاتك فإن التفاعل يتزايد ويأخذ منحى آخر فإذا اتجهت نحو صديقك ولكنه انصرف عنك فانك قد تناديه لتسأله أو تندد بتصرفاته.

- "إدراك الدور الاجتماعي الذي يؤديه الطرف الآخر في ضوء المعايير الاجتماعية"⁴¹، فإذا التبس ذلك أو اختل اتخذ التفاعل صورة مخالفة، فمن مكونات الدور الاجتماعي للأم مثلاً رعاية ولدها، فإذا اعترضت عن ذلك اتسم بينها وبين ولدها من ناحية وبينها وبين زوجها من ناحية أخرى سمة تخالف ما هو متعارف عليه في ضوء المعايير السائدة.

- لكل "فرد من الأفراد منطقة تحيط به تعرف بالحيز الشخصي PERSONAL SPACE يحرص على إغلاقها دون أي شخص آخر"⁴²، فإذا حدث العكس واخترقها فرد آخر عنوة شعر الفرد بالضيق وعمد إلى إجراءات تعيد إلى الحيز الشخصي وضعه الطبيعي وتحقق له الراحة وهكذا يتكون التفاعل الاجتماعي بناءً على مساحة ذلك الحيز المحيط بالمرء واختراقها أو عدمه واحترام خصوصيتها، ففي الصف المنتظم مثلاً أمام شباك تذاكر معين يحرص كل فرد على حيزه الشخصي فإذا حدث خلل ما طلب الفرد من الشخص الآخر إصلاحه أو ابتعد عنه مسافة تكفل له الراحة.

- تبادل الرسائل اللفظية أو غير اللفظية بين الطرفين فإذا حدث خلل في نقلها يختل التفاعل، فمثلا في حالة كف البصر أو الصمم يتخذ وجهها مغايرا لما هو متعارف عليه، "كما يختل التفاعل إذا قصد المرسل معنى للرسالة التي يود إرسالها وإيصالها وفهمها المستقبل فهما مغايرا ومخالفا للمقصود لعدم وضوح الرسالة أو لغموضها أو لنقص خبرة المستقبل أو لخطأ في الإدراك"⁴³.

- التنظيم المكاني والطريقة الخاصة بالفرد في جلوسه لها أثرها في التفاعل الاجتماعي، فعندما يجلس أعضاء جماعة إلى مائدة مستديرة تميل كل فئة منهم إلى مخاطبة تلك التي تواجهها، وليس الأشخاص المجاورون لها، وحينما تستخدم المناضد المستطيلة تبين أن من يجلسون إلى رأس المائدة تزداد مشاركتهم في قرار الجماعة، وكلما اقتنعوا أنهم أعمق تأثرا من أولئك الجالسين على الجانبين.

- الأثابات والتكاليف: عندما يتفاعل شخصان معافان كل منهما يستمتع بجانب من التفاعل ويشعر بالسرور والرضا والإشباع وتعتبر هذه من الأثابات، في حين أنّ جوانب أخرى قد تكون أقل امتاعا وتؤدي إلى كف أو منع الأداء وتدخل هذه ضمن التكاليف، "وتحدد الحصيلة النهائية للتفاعل بالأثابات مطروحا منها التكاليف، فتقدر كنتاجها بناء على عوامل مستمدة داخل علاقة الطرفين نفسها"⁴⁴، أو من خارجها فلو أنّ موسيقيين يعزفان معا لحنا معينا فقد يصنعان بتفاعلهما إذا كانا متجانسين (أثابات)، أما إذا حاول أحدهما أداء أنغام غير متفق عليها، فإنّ ذلك سيكون مكلفا لكل منهما، "وفي هذه الحالة تكون الأثابات والتكاليف مستمدتين من داخل العلاقة بين الطرفين"⁴⁵. أما إذا حدث و كان أحد الموسيقيين غير ماهر فإنّه لا يجد المتعة في الأداء والعكس صحيح.

10- المداخل النظرية للتفاعل الاجتماعي:

"يختلف تفسير التفاعل الاجتماعي بوصفه محورا ومركزا لكافة الظواهر التي يدرسها علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع باختلاف أوجهها"⁴⁶، وعليه يمكننا استعراض جملة من النظريات المفسرة لعملية التفاعل الاجتماعي:

10-1- النظرية السلوكية:

يرجع السلوكيون عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات إلى نظرية المؤثر والإستجابة والتعزيز التي يتزعمها العالم الأمريكي "سكينر".

"ويرى السلوكيون أنّ المخلوقات الاجتماعية ليست سلبية في تفاعلها بل لديها المقدرة على الإستجابة للمؤثرات أو المنبهات التي تتلقاها خلال عملية التنشئة الاجتماعية القائمة على التفاعل، والشخصية التي تكونوتشكل الفرد أو الجماعة هي نتيجة مباشرة لهذا التفاعل"، فالتفاعل يتمثل في الإستجابات المتبادلة بين الأفراد في وسط أو موقف اجتماعي.

حيث يشكل سلوك الفرد الواحد مؤشرا أو منبها لسلوك الآخر وهكذا "فكل فعل يؤدي إلى إستجابة أو إستجابات في إطار تبادل المنبهات والإستجابات"⁴⁷، كما يؤكدون على أنّ التفاعل الاجتماعي لا يبدأ ولا يستمر إلا إذا كان المشتركون فيه يتلقون شيئا من التدعيم أو الأثابة التي تقوم على أساس إشباع الحاجة المتبادل، فالتفاعل إذن حسيم هو إشباع لحاجات الطرفين اللذين يقوم بينهما التفاعل، إذ أنّ الطفل يحصل على ما يريد من والديه والوالدان يحصلان على ما يريدان من تعلم الطفل للكلام والتواصل اللغوي.

- نظرية نيوكمب:

ينظر نيوكمب إلى التفاعل الإجتماعي وكأنّه "نوع من الجهاز أو النظام الذي يرتبط أجزاءه ببعضها، ويتوقف عمل جزء منه على أداء بقية الأجزاء لوظائفها"⁴⁸، على هذا الأساس يقوم الأفراد اللذين يحدث بينهم التفاعل بتغيير سلوكهم نتيجة لهذا التفاعل حيث يتعدل سلوك أحد الطرفين إذا حدث تغيير في سلوك الطرف الآخر، حيث يسود نمطا من العلاقة المتوازنة بين شخصين متفاعلين عند تشابه اتجاهاتهما وأرائهما بالنسبة لشيء أو لشخص أو موقف كما يسود نمطا من العلاقة المتوترة غير المتوازنة بين الطرفين المتآلفين إذا كان كل منهما يحمل أفكارا واتجاها متباينا نحو طرف ثالث مشترك، وقد ينشأ نمطا من العلاقة غير المتوازنة بين طرفين غير متآلفين حتى ولو كانا متشابهين في مواقفهما واتجاهاتهما بالنسبة للطرف الثالث.

خلاصة ذلك هي أنّ نمطا من العلاقة المتوازنة تسود بين شخصين متفاعلين عندما تتشابه اتجاهاتهما وأرائهما بالنسبة لشيء أو شخص أو موقف معين، وهكذا يستنتج "نيوكمب" إنّ مدى الصداقة والود والتجاذب تقوي بين الطرفين اللذين تربطهما مواقف واتجاهات وأفكار وآراء متشابهة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المواقف والآراء ذات الإهتمام المشترك.

- نظرية سابمسون:

تعتمد هذه النظرية على فكرة مؤداها أنّ الفرد يميل ويتجه إلى تغيير أحكامه في المواقف غير المتوازنة التي يسودها التوتر أكثر منه في المواقف المتوازنة، "ويميل الأفراد بصورة عامة إلى إصدار الأحكام المتشابهة لأحكام من يحبون أو يألفون والمخالفة لأحكام من لا يحبون"⁴⁹.

لقد أثبتت التجارب التي أجراها "سابمسون" أنّ العلاقات المتوازنة في نطاق التفاعل الإجتماعي تكون ناتجة عن:

✓ اعتقاد الفرد (أحد الطرفين) أنّ الطرف الآخر الذي نحب يحمل نفس الآراء ويحمل

نفس القيم والمعتقدات التي يحملها أو مشابها لها.

✓ اعتقاد الفرد بأنّ الطرف الآخر الذي لا نحب لا يحمل آراء ومعتقدات أو قيما شبيهة

بآرائه وأحكامه.

أما العلاقات غير المتوازنة التي يسودها التوتر فتكون حسب نتائج التجارب التي أجراها

"سابمسون" كالتالي:

✓ "الإعتقاد بأنّ الطرف الآخر الذي نحب يصدر أحكاما تخالف أحكامنا"⁵⁰.

✓ الإعتقاد بأنّ الطرف الآخر الذي لا نحب يصدر أحكاما تشابه أحكامنا.

"وفي كلتا الحالتين فإنّ لأهمية الحكم أو الرأي أثرا كبيرا في وحدة وقوة العلاقة الناشئة

عن الموقف، لأنه يؤدي الى اهتمام أكبر بالأمور الهامة والخبرة التي تؤثر في حياة الفرد وتكيفه مع

مجتمعه أكثر من تلك التي تكون ذات أثر محدود في ذلك، كالأحكام المتعلقة بالأكل والشرب مقارنة

بالأحكام المتعلقة بفلسفة الحياة أو القيم الإجتماعية و الأخلاقية و الدينية والسياسية".

- نظرية بيلز:

لقد حاول "بيلز" دراسة أنماط التفاعل الإجتماعي وحدد مراحل وأنماط عامة في مواقف

أجتماعية تجريبية، إذ يرى أنّ التفاعل الإجتماعي عملية تتحدد في عدّة مراحل وأنماط، وتحدث

عن التفاعل الإجتماعي على أساس نتائجه وملاحظاته التي أجراها في أبحاثه، حيث يعرف التفاعل

الإجتماعي بأنه "السلوك الظاهر للأفراد في موقف معين وفي إطار الجماعات الصغيرة"⁵¹، لذلك

افتقر في بحوثه على ملاحظة السلوك الخارجي للمتفاعلين ونظر إلى عملية التفاعل كما لو كانت مجرد اتصال من الأفعال والكلمات والرموز والدلالات والإشارات... الخ بين الأشخاص عبر الزمن.

كما قدم بيلز نموذجاً لعملية التفاعل الاجتماعي التي احتلت مركزاً هاماً في أساليب البحث في ديناميات الجماعة وقسم مراحل التفاعل الاجتماعي التي تتوالى في الترتيب كالاتي:

* التعرف: "أي الوصول إلى تعريف مشترك للموقف ويشمل طلب المعلومات والتعليمات والتكرار والإيضاح والتأكيد على:

ما هي المشكلة ؟ لماذا يجتمعون ؟ ما هي الأشياء المتوقعة منهم ؟"⁵²، مع إعطاء التعليمات والمعلومات والإعادة والتوضيح والتأكيد على تحديد المشكلة.

* التقييم: أي تحديد نظام مشترك تتم في ضوءه الحلول المختلفة و يشمل ذلك طلب الرأي والتقييم والتحليل والتعبير عن المشاعر والرغبات.

مثل: ما هو شعورهم نحو المشكلة ؟ هل المشكلة مهمة ؟ هل يمكن عمل شيء تجاهها ؟ هل عمل هذا أو ذاك ؟ ... الخ.

* إبداء الرأي: "يشمل التقييم والتحليل و التعبير عن المشاعر والرغبات"⁵³.

* الضبط: أي محاولات الأفراد للتأثير بعضهم في البعض الآخر كما يشمل طلب الإقتراحات والتوجيه والطرق الممكنة للعمل والحل.

مثل : ماذا يعملون بالضبط ؟

تقديم الإقتراحات والتوجيهات التي تساعد على الوصول إلى الحل أي ما يعتقد أنه لازم وما يجب عمله.

* اتخاذ القرارات: "أي الوصول إلى قرار نهائي ويشمل ذلك عدم الموافقة والرفض والتمسك بالشكليات وعدم المساعدة أو إظهار القبول والفهم والطاعة"⁵⁴.

- ✓ هل يبدو الأعضاء متحمسين بالنسبة لموضوع المناقشة والمشكلة التي يدور حولها
- التفاعل ويرون أنّ المشكلة مجدية؟
- ✓ إلى أيّ حد يعتبر الأعضاء مؤتلفين؟
- ✓ هل يعتبرون أصدقاء؟
- ✓ هل يستمتعون بالحديث إلى بعضهم البعض؟
- ✓ هل يبتسم الأعضاء بين الحين والحين عندما يتناقشون؟
- ✓ إلى أيّ حد تعمل الجماعة كوحدة متماسكة؟
- ✓ هل هناك مساعدة متبادلة بين الأعضاء؟
- ✓ هل تسود روح الجماعة على المخالفين وتغلب على الفردية؟
- ✓ هل يعتمد الأعضاء بعضهم على بعض في المساندة؟
- ✓ هل يهتم الأعضاء بجذب المخالفين ودمجهم في قلب الجماعة؟
- ✓ هل يبدو أعضاء الجماعة متعاونين أكثر منهم متناقشين؟
- ✓ إلى أيّ حد يسود التفاعل الاجتماعي السليم؟
- ✓ هل يوجه الإتصال إلى الجماعة ككل؟
- ✓ هل يسهم الأعضاء إسهاما كبيرا ومنفردا في التفاعل الاجتماعي؟
- ✓ هل الأعضاء مستمعون جيّدون؟

"كما أورد بعض الأسئلة التي بدورها تقيم اشتراك الفرد في الجماعة وفي التفاعل

الاجتماعي:⁵⁵

- ✓ هل لديه اتجاهات تعاونية؟
- ✓ هل ينظر إلى المشكلة بطريقة موضوعية؟
- ✓ هل يتعاون كجزء من الجماعة؟
- ✓ هل يتناقش بحماس؟
- ✓ هل يتفاعل مع الأعضاء الآخرين بطريقة موضوعية؟
- ✓ هل يشترك ويسهم إسهاما بناءً في المناقشة؟
- ✓ هل لديه معلومات كافية؟
- ✓ هل يجيب أكثر مما يسأل؟
- ✓ هل يفكر تفكيراً منطقياً؟
- ✓ هل هو واثق من مناقشاته؟
- ✓ هل يعطي معلومات عندما يطلب منه ذلك؟
- ✓ هل هو متيقظ ومنتهب طوال الوقت؟
- ✓ هل لغته واضحة في المناقشة؟
- ✓ هل كلامه واضح ودقيق؟
- ✓ هل كلامه منصب في الموضوع؟
- ✓ هل كلامه منصب في الآخرين؟
- ✓ هل يساعد قائد الجماعة؟

- ✓ هل يعمل من أجل تماسك الجماعة؟
- ✓ هل يمتنع عن التدخل في اختصاصات القائد؟
- ✓ هل يراعي أخلاقيات التفاعل الاجتماعي؟
- ✓ هل يمتنع عن التضليل والتعريف؟
- ✓ هل يتكلم ويفكر باعتدال؟
- ✓ هل يمتنع عن توجيه دقة النقاش حسب أغراضه الشخصية؟

عند طرح هذه المجموعة من الأسئلة حسب يمكن تقييم اشتراك الفرد في عملية التفاعل الاجتماعي بطريقة موضوعية.

10-2- النظرية التفاعلية الرمزية: تدور فكرة التفاعلية الرمزية حول مفهومين أساسيين

هما:

الرموز والمعاني في ضوء صورة معينة للمجتمع المتفاعل، وتشير التفاعلية الرمزية إلى معنى الرموز على اعتبار أنها القدرة التي تمتلكها الكائنات البشرية للتعبير عن الأفكار باستخدام الرموز في تعاملاتهم مع بعضهم البعض، "حيث نجد أن استخدام الرموز أمر قائم في كل من التجمعات الحشرية مثل تجمعات النمل والنحل والتجمعات البشرية، إلا أنَّ التعامل بالرموز في التجمعات الحشرية يقوم على أساس التفاعل الغريزي التلقائي، على عكس التجمعات البشرية التي تستخدم الرموز للتعبير عن شيء له دلالة اجتماعية".⁵⁶

تهتم النظرية التفاعلية الرمزية بالطريقة التي يختار بها المشاركون في عملية التفاعل الاجتماعي معاني الرموز ويتفقون على هذه المعاني.

"ويشير مفهوم الرموز إلى الأشياء التي ترمز إلى شيء آخر، ويكون لها معاني أعمق من الجانب السطحي للرمز"⁵⁷، "كما يتم تحديد معناالرموز عن طريق الإتفاق بين أعضاء الجماعة، إذ يتعلم الأطفال التمييز بين كلا من رجل الشرطة وسائق الحافلة ولاعب كرة القدم عن طريق نوعية الملابس التي يرتدونها وقد ينظر أحد أفراد مجتمع آخر لهذه الملابس على اعتبار أنها مجرد ملابس فقط ، ونجد أنّ هؤلاء الذين تعلموا ما ترمز إليه هذه الملابس يمكنهم تحديد العمل الذي يؤديه كل من يرتدي نوع معين من هذه الملابس وبالتالي يمكنهم التفاعل بسهولة مع كل منهم.

11-مستويات التفاعل الإجتماعي:

* التفاعل بين الأفراد: يعد التفاعل القائم بين الأفراد أكثر أنواع التفاعل الإجتماعي شيوعاً، "فالتفاعل الإجتماعي القائم بين الأب و الأم أوالزوج والزوجة أوالرئيس والمرؤوس... الخ"⁵⁸، وبيئة التفاعل يأخذ الأفراد فيه سلوك الآخرين في الحسبان، "ومن ثم يؤثر عليهم و على الآخرين، وفي عملية التطبيع الإجتماعي مثلاً نجد أنّ التفاعلالإجتماعي يأخذ هذا التسلسل: الطفل-الأم-الطفل وإخوته- الطفل وأقرانه -الشباب والمدرسة- الشاب ورؤساءه ... الخ وفي هذه الصلات الإجتماعية نجد أنّ الشخص جزء من البيئة الإجتماعية للآخرين الذي يستجيب بنفس الطريقة التي يستجيبون بها، ومن ثم يتفاعل معهم."⁵⁹

* التفاعل بين الجماعات: إنّ التفاعل القائم بين القائد وأتباعه أو المدرس وتلاميذه، أو المدير ومجلس الإدارة هو أكبر صورة تجسد التفاعل بين الجماعات، فالمدرس في مثل هذه الحالة يؤثر في تلاميذه كمجموعة وفي الوقت ذاته يتأثر بمدى اهتمامهم وروحهم المعنوية والثقة المتبادلة بينهم، "ومن ناحية أخرى نجد أنّ الشخص المتفاعل مع مجموعة معينة من الأشخاص في مرات

متكررة ينجم عنه وجود نوع من التوقعات السلوكية من جانب الجماعة أي سلوك معين متعارف عليه⁶⁰.

* التفاعل بين الأفراد والثقافة: المقصود بالثقافة في هذه الحالة هي العادات والتقاليد وطرائق التفكير والأفعال والصلات البيئية السائدة بين أفراد المجتمع ويتبع التفاعل بين الفرد والثقافة منطقيا اتصال الفرد بالجماعة، "إذ أنّ الثقافة مماثلة إلى حد كبير للتوقعات السلوكية لدى الجماعة"⁶¹، فكل فرد ينفع للثقافة بطريقته الخاصة وكل فرد يفسر المظاهر الثقافية حسب ما يراه مناسباً للظروف التي يتعرض لها، فالثقافة جزء هام من هذه البيئة التي يتفاعل معها الفرد، "لأن الغايات والتطلعات والمثل والقيم التي تدخل في شخصية الفرد ما هي إلاّ مكونات رئيسية للثقافة"⁶²، كذلك فإنّ التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والثقافة يأخذ مكانا من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية التي تضمن بدورها صلة تبادلية مثل الراديو والتلفاز والصحف والسينما.

* التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية: العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي مصطلحان مرتبطان ببعضهما، حيث لا يحدث أحدهما دون الآخر، حتّى إنهما أصبحا كمترادفين، "فقد اعتبر البعض التفاعل الاجتماعي شكلا من أشكال العلاقات الاجتماعية في حين يرى البعض الآخر أنّ العلاقات الاجتماعية من مظاهر عمليات التفاعل الاجتماعي، فعندما يلتقي فردان ويؤثر أحدهما في الآخر ويتأثر به يسمى التغيير الذي يحدث نتيجة لتبادل التأثير والتأثر بالتفاعل"⁶³. وعندما تتكرر عمليات التأثير والتأثر ويستقران يطلق على الصلة التي تجمع بين الفردين العلاقات المتبادلة، وكلما ازدادت العلاقات الاجتماعية المنتشرة داخل الجماعة ازداد الاتصال بين الأفراد مع بعضهم البعض وازدادت ديناميكية التفاعل الاجتماعي، "لهذا تدل مجموع

العلاقات على مدى التفاعل الاجتماعي⁶⁴، فإذا طلب كل فرد من أفراد الجماعة أن يختار ما يشاء من زملائه دون أن يتقيد بعدد في اختياره هذا، أمكننا أن نتعرف بطريقة إحصائية عددية النسبة المئوية للتفاعل الاجتماعي، بقسمة مجموع العلاقات القائمة على النهاية العظمى لتلك العلاقات ثم ضرب الناتج في مائة لتحويل النسبة إلى نسبة مئوية، هذا يعني أن العمليات الاجتماعية ما هي إلا علاقات اجتماعية في مرحلة التكوين أي أنها تشير إلى الجانب الوظيفي الدينامي، في حين تشير العلاقات الاجتماعية إلى الجانب التركيبي الإستاتيكي.

- "وللقيادة دور مهم في تكوين التفاعل الاجتماعي فإذا كان القائد مسيطرًا اتصف التفاعل بالتوكلية وعدم الاهتمام والتبذل الانفعالي والعنف والمعاداة وعدم الرضا"⁶⁵، وإذا كان القائد فوضويًا ازداد قلق الأشخاص وتوترهم نتيجة لفشلهم في إشباع حاجاتهم، أما إذا كان القائد ديمقراطيًا اتسم التفاعل بالإيجابية والحماس والمشاركة والشعور بالجماعة المتحدة المترابطة وبالضمير الجمعي والصدقة.

* مراحل نمو وتطور الجماعات: تمر الجماعات بمراحل نمائية معينة كما يتميز التفاعل الاجتماعي في كل مرحلة منها بخصائص محددة "فيكون في البداية عشوائيًا وفي ثنائيات أو جماعات صغيرة ثم يصبح تجريبيًا"⁶⁶، إذ يختبر المتفاعلون أنماطًا منه وأساليب معينة، كما يكون مضطربًا ثم يقل الاضطراب ويزداد التمرکز حول العمل والجماعة عندئذ تصل إلى أعلى إنتاجيتها، إذا يمكن توجيه التفاعل بالتحكم في العوامل التي تؤثر فيه وبذلك يمكن للتفاعل الاجتماعي من تحقيق أهدافه التي نستعرضها في النقاط الآتية:

12- أهداف التفاعل الاجتماعي:

- ييسر التفاعل الاجتماعي تحقيق أهداف الجماعة ويحدد طرائق إشباع الحاجات.

- يتعلم الفرد والجماعة بواسطة أنماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التي تنظم العلاقات بين أفراد الجماعة ومجموعات المجتمع في إطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها.

- "يساعد التفاعل على تقييم الذات والآخرين بصورة مستمرة (ويعتبر هذا الهدف من بين مظاهره كذلك)"⁶⁷.

- يساعد التفاعل على التنشئة الاجتماعية للأفراد وغرس الخصائص المشتركة بينهم. إنَّ هذه الأهداف عند تحقيقها تتجسد في مظاهر تتولد عن عملية التفاعل الاجتماعي ويمكن تلخيصها فيما يلي:

13- أهم مظاهر التفاعل الاجتماعي: إنَّ أهم تمظهر للتفاعل الاجتماعي يتجسد في:

- "تقييم الذات والآخرين بشكل مستمر وإعادة التقييم والتقويم المستمر"⁶⁸.

- يتوقف التفاعل الاجتماعي على شخصية الفرد ومكانته الاجتماعية.

- التجاذب والانسجام بين أفراد الجماعة من خلال تقارب الميول والاتجاهات والقيم بالإضافة إلى التعاون والتكامل في العمل على تحقيق الأهداف المشتركة بين الأفراد، "كما تعتمد عملية التفاعل الاجتماعي على التنشئة الاجتماعية حيث يتعلم الفرد والجماعة أنماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التي تنظم العلاقات بين أفراد الجماعة وجماعات المجتمع في إطار الدين والقيم السائدة والتقاليد المتعارف عليها"⁶⁹، والشبكة الاجتماعية للفرد تتكون من الأفراد اللذين له معهم تواصل ورابطة اجتماعية وبينه وبينهم تفاعل اجتماعي.

كما تشير نظريات التفاعل الاجتماعي إلى أهمية الحب والمودة والتعاطف والوفاق في عملية التفاعل وهذا يعني ضرورة المشاركة في القيم والميول والاتجاهات والإهتمامات، فالفرد يميل

إلى الإنجذاب إلى أولئك اللذين لديهم إتجاهات مثله أو تماثل إتجاهاته، ويؤكد جون ديوى أن "التفاعل الإجتماعي في إطار مرجعي يظم الفرد والبيئة وموضوع التفاعل"⁷⁰، وإنّ التفسير البسيط للسلوك الإجتماعي للفرد يكون صعبا بالنسبة لتداخل هذه النواحي المختلفة كما استنتج مظهر شريف من خلال تجاربه أنه عندما يتفاعل أعضاء الجماعة بهدف تحقيق هدف مشترك فإنه مع مرور الوقت يبرز بناء الجماعة وينظم الأعضاء في مراكز وأدوار تحددها معايير تحكم السلوك الإجتماعي وتكون أساس الإتجاهات الإجتماعية نحو الموضوعات والأشخاص.

خاتمة:

تناولنا في هذا المقال دراسة شاملة عن التفاعل الاجتماعي الذي يعد وسيلة اتصال وتفاعم بين أفراد المجموعة، فالتفاعل فردا ومجتمعاً ضرورة لا بدّ منها للقيام بمهمة الخلافة لله تعالى وعمارة الكون وإسعاد البشرية، والتفاعل الاجتماعي يحدث بين الأفراد داخل نسق اجتماعي معين أو بين مجموعة أنساق، إذ يتم بشكل مباشر من خلال اللقاء الشخصي بين الأفراد والجماعات أو بشكل غير مباشر بواسطة الكلمة المسموعة أو المطبوعة أو المرئية والصور وغيرها من الوسائل والأنشطة الأخرى، فالفرد له حاجاته الاجتماعية المتمثلة في حاجاته للشعور بالتقدير من قبل الآخر من خلال عملية التفاعل وتعبيره كذلك عن تقديره لهم ورغبته في اعتراف الآخرين به لسد حاجات الضرورية، هذا كله يحدث من خلال التفاعل بآلياته وسلوكياته، مما يعمل على توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ككل بما فيه من أنساق فرعية.

قائمة المراجع:

1. منيرة أحمد حلمي، التفاعل الاجتماعي، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ص. 230.
2. صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، د ت، ص. 106.
3. حسن عبد العزيز الدريني، المدخل إلى علم النفس، ط1، دار الفكر العربي، 1983، ص. 112.

4. أحمد نصر الله، مبادئ الاتصال التربوي والإنساني، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص.191
5. حسن عبد العزيز الدريني، المرجع السابق، ص.113
6. أحمد نصر الله، مرجع سبق ذكره، ص.192
7. حسن المنسي، ديناميات الجماعة والتفاعل الصفي، ط1، دار الكندري، عمان، 1998، ص.25
8. المرجع نفسه، ص.29
9. حسن المنسي، مرجع سبق ذكره، ص.30
10. مينرونوف جان، ت فريد انطونيوس، دينامية الجماعات، ط1، منشورات عويدات، لبنان، 1974، ص.8
11. مينرونوف جان، ت فريد انطونيوس، دينامية الجماعات، مرجع سابق، ص.14
12. كمال دسوقي، دينامية الجماعة في الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، ط1، مكتبة الأنجلوالمصرية، مصر، 1970، ص.43
13. المرجع نفسه، ص.48
14. حسن المنسي، مرجع سابق، ص.26
15. كمال دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص.57
16. مينرونوف جان، ت فريد انطونيوس، مرجع سبق ذكره، ص.12
17. حسن المنسي، مرجع سبق ذكره، ص.32
18. المرجع نفسه، ص.36
19. كمال دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص.42
20. حسن عبد العزيز الدريني، مرجع سبق ذكره، ص.114
21. أحمد نصر الله، مرجع سبق ذكره، ص.194
22. صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دط، دار المسيرة، عمان، 1998، ص.72
23. منيرة أحمد حلمي، مرجع سبق ذكره، ص.232

24. صلاح الدين شروخ، مرجع سبق ذكره، ص.172.
25. ويس كامل ملكية، سيكولوجية الأسس النفسية للسلوك الاجتماعي، ط1، مطابع المجد، الكويت، 1996، ص.104.
26. ويس كامل ملكية، مرجع سبق ذكره، ص.106.
27. ابراهيم أبو عرقوب، الاتصال ودوره في التفاعل الاجتماعي، ط1، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، 1983، ص.41.
28. صلاح الدين شروخ، المرجع السابق، ص.47.
29. ابراهيم أبو عرقوب، مرجع سبق ذكره، ص.49.
30. ويس كامل ملكية، مرجع سبق ذكره، ص.126.
31. كمال دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص.51.
32. محمد علي شبيب، السلوك الإنساني في النظم، ط1، دار الفكر العربي، 1982، ص.243.
33. عبد الغفار حنفي، السلوك التنظيمي وإدارة الفاعلين، ط1، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص.559.
34. محمد علي شبيب، مرجع سبق ذكره، ص.244.
35. عبد الغفار حنفي، مرجع سبق ذكره، ص.602.
36. كمال دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص.51.
37. سيد أحمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1973، ص.87.
38. دافيد كريش وآخرون، ت عبد العزيز الفقي وسيد خير الله، سيكولوجية الفرد في الجماعة، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص.38.
39. حسن المنسي، مرجع سبق ذكره، ص.71.
40. المرجع نفسه، ص.76.
41. سيد أحمد غنيم، مرجع سبق ذكره، ص.89.
42. دافيد كريش وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص.41.
43. محمد علي شبيب، مرجع سبق ذكره، ص.248.

44. عبد الرحمان محمد العيسوي، تفاعل الجماعات البشرية، ط1، الدار الجامعية، مصر، 2006، ص.27
45. عبد الرحمان محمد العيسوي، مرجع سبق ذكره، ص.32
46. عبد الرزاق جلي وآخرون، نظرية علم الاجتماع –الاتجاهات الحديثة المعاصرة، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص.159
47. عبد الرزاق جلي وآخرون، المرجع السابق، ص.162
48. محمد حجازي، النظريات الاجتماعية، دار غريب للطباعة، دط، القاهرة، 1980، ص.114
49. عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، دط، دت، ص.172
50. محمد فؤاد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص.117
51. محمد فؤاد حجازي، مرجع سبق ذكره، ص.119
52. عبد الله محمد عبد الرحمان، مرجع سبق ذكره، ص.181
53. محمد فؤاد حجازي، مرجع سابق، ص.120
54. عبد الله محمد عبد الرحمان، مرجع سبق ذكره، ص.184
55. عبد الرزاق جلي، مرجع سبق ذكره، ص.164
56. جوناثان تيرنر، ت محمد سعيد فرح، بناء النظرية في علم الاجتماع، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص.203
57. محمد عاطف غيث وآخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص.135
58. جوناثان تيرنر، ت محمد سعيد فرح، مرجع سبق ذكره، ص.206
59. محمد عاطف غيث وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص.138
60. المرجع نفسه، ص.141.
61. كمال دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص.71
62. سيد أحمد غنيم، مرجع سبق ذكره، ص.92

63. كمال دسوقي، المرجع السابق، ص.138
64. المرجع نفسه، ص.174
65. عبد الغفار حنفي، مرجع سبق ذكره، ص.543
66. محمد علي شهيب، مرجع سبق ذكره، ص.254
67. ابراهيم بوعرقوب، مرجع سبق ذكره، ص.45
68. كمال دسوقي، مرجع سبق ذكره، ص.63
69. محمد علي شهيب، مرجع سبق ذكره، ص.252
70. عبد الغفار حنفي، مرجع سبق ذكره، ص.558.